كلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الثامنة

أستاذ المادة : أ.م .د. نوفل حامد عبد الرحمن عمران الهيتي

اسم المادة باللغة العربية : انتشار الاسلام في افريقيا

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Spread of Islam in Africa

اسم المحاضرة الثامنة باللغة العربية: الوجود العربي الاسلامي في الحبشة (اثيوبيا)

اسم المحاضرة الثامنة باللغة الإنكليزية: The Arab Islamic presence in Abyssinia (Ethiopia)

رابعاً: الوجود العربي الاسلامي في الحبشة (إثيوبيا)

ترجع علاقة الحبشة بشبه الجزيرة العربية وبصفة خاصة منطقة اليمن، إلى عصور قديمة فلا يكاد يفصل بينهما سوى البحر الأحمر الهادي الضيق، ولذلك فان قيام علاقات بين منطقة اليمن، ومنطقة الحبشة كان أمرا طبيعياً.
وفي هذا المجال يذكر بعض الباحثين ان كلمة " الحبشة" ومنها " الأحباش " يرجع اصلها الى قبيلة " حبش " العربية، وهي اقوى القبائل العربية التي هاجرت من جنوب بلاد العرب بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد، واستقرت في افريقية ولم يأت القرن الرابع الميلادي غلب اسم هذه القبيلة العربية على المنطقة التي استوطنتها في شمال الحبشة، بل على السكان انفسهم . ثم اطلق العرب اسم " الحبشة " على المنطقة الممتدة : النيل غربا والبحر الاحمر شرقا ومن النوبة شمالا الى ما وراء خط الاستواء جنوبا كما أن لغة جعز أو لسان جمعز، وهو الاسم الذي عرفت به اللغة الحبشية القديمة، ينسب الى قبيلة الاجاعز (الأجوازيان) وهي ا احدى القبائل العربية التي هاجرت من اليمن الى الحبشة واستقرت في الجانب الشمالي الشرقي من الحبشة ولم تلبث أن بسطت نفوذها على سائر البلادة). كما ان اشتقاق القلم الحبشي من القلم الحميري يمكن ارجاعه الى اتصال اليمنيين بالأحباش قديما

واذا كان الباحثون قد اختلفوا بشأن حجم الهجرات العربية الى الحبشة، فقد اتفقوا جميعا على ان هناك هجرات عربية شملت اعدادا من التجار استقروا على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، في منطقة الحبشة، وبمرور الزمن تزايدت اعدادهم، وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة، وهذه المراكز ساعدتهم على الاختلاط بسكان المنطقة وتربط الأساطير الحبشية بين قيام مملكة اكسوم والعلاقة بين الحبشة واليمن، اذ تقول هذه الاساطير ان البيت المالك في الحبشة من اقدم البيوت في العالم، اذ ينحدر من سليمان ملك بيت المقدس في القرن العاشر قبل الميلاد حين زارته ملكة سبا بلقيس (ماكيدا عند الاحباش)، وانجبت منه ابنا هو منليك الأول رأس الاسرة المالكة ومؤسس دولة اكسوم في القرن العاشر قبل الميلاد . وتفترض هذه الاسطور ان هذه المملكة كانت تحكم كلا من اليمن واكسوم . وعلى الرغم ان معظم ماورد في هذه الاساطير لم تثبت صحته تاريخيا فانها تدل على قدم العلاقات بين الحبشة واليمن.

ومهما يكن من أمر فان اتساع مملكة اكسوم وازدهارها ونشاط تجارتها ادى الى تقوية علاقاتها بجنوب شبه الجزيرة العربية، ومن اجل المحافظ على تجارة الحبشة والسيطرة علي الطريق البري بين اليمن والشام قام ملوك اكسوم بعدة غزوات لليمن.

واخيرا قام الأحباش، كما أشرنا انفا باحتلال القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية (اليمن) مدفوعين بدوافع اقتصادية مغلفة بالمظهر الديني" ، وقد قاوم العرب هذا الاحتلال بشدة.

وكان لظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي. بداية لصفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين العرب والحبشة.

وكما معروف ان أولى العلاقات العربية الاسلامية مع الحبشة حدثت على عهد الرسول (صل الله عليه وسلم) حينما اشار في بداية الدعوة على أتباعه بالهجرة الى الحبشة بعد ان شاهد الاذي الشديد الذي كان يلحق بهم.

والمعروف أيضا أن المهاجرين العرب المسلمين الأوائل قد وجدوا في الحبشة خير رعاية من حاكمها النجاشي، وكان هذا السبب، على ما يبدو قد اثر في مسلك المسلمين فيها اذ اتخذ طابعا سلميا متعدد الاتجاهات انتهي الى ظهور عدة ممالك اسلامية في الحبشة. وبمضي الزمن اخذ النشاط العربي الاسلامي بالازدياد حتى تم للمسلمين) تجارة المنطقة. وقد ساعد انهيار مملكة اكسوم، مع نمو النشاط العربي، الى سيطرة العرب المسلمين على الموانئ المهمة في المنطقة. واخذت صلة العرب تتوطد بالحبشة اثر الهجرات التي تتابعت بعد ذلك خاصة بعد ان تمكن العرب من الاستقرار في بعض سواحل البحر الاحمر ، وتأسيسهم لبعض المراكز التجارية التي اصبحت وسيلة لتوغل كثير من الجماعات الاسلامية الى داخل هضبة الحبشة.

والملاحظ ان المراكز العربية الاسلامية بالحبشة، شأنها في ذلك شأن بقية المراكز العربية على طول الساحل الشرقي لأفريقيا قد اتسمت بالطابع السلمي التجاري بصفة عامة، ولم تكن في نشأتها وتوسعها عسكرية أو سياسية في بادئ الأمر، ذلك ان الحبشة كانت موطن الهجرة الاسلامية الأولى.

نشطت الهجرات العربية إلى منطقة الحبشة بفعل الاوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية، وكانت هذه الهجرات تحدث بصفة مستمرة وفي اعداد يسيرة وقد توغلت بشكل سلمي حاملة معها عقيدتها الاسلامية وثقافتها العربية. وكان المهاجرون العرب من مختلف الطبقات فمنهم زراع اليمن، ومنهم تجار حضرموت وعمان والحجاز، كما تفاوتوا ايضا في درجة غناهم، وفي الاسباب التي دفعتهم الى الهجرة. فاتجه الزراع الى حيث مناطق الخصب والمطر فاستقروا شمال الهضبة ووسطها، واتجه الرعاة الى سفوح الهضبة الشمالية والي حدما في صحراء الدناكل والى سفوح الهضبة الشرقية من جهة الجنوب، والي صحراء الاوجادين. اما التجار فمكثوا في المناطق الساحلية ذات الاتصال السهل بالداخل حيث الأسواق والسلع التجارية التي تحملها سفنهم يضاف الى ذلك ان الكثير من اللاجئين السياسيين الهاربين من اضطهاد او هزيمة سياسية كانوا يلجأون

الى الحبشة لبعدها عن مراكز الدولة العربية الاسلامية، نذكر منهم الكثير من الامويين بعد نهاية دولتهم على يد العباسيين.

كان لاستقرار العرب المسلمين في منطقة الحبشة اثر كبير في قيام تكتلات اسلامية في أماكن متفرقة اخذت تنمو مستقلة الواحدة عن الأخرى. وبعد عدة قرون تحولت هذه التكتلات الى كيانات سياسية يتاخم بعضها بعضا من دون اتحاد يجمعها. من بين هذه الكيانات نذكر: (مملكة شوا) التي ظهرت في صميم الهضبة الحبشية في منطقة شوا الشهيرة ومن دارسة لوثيقة عربية عثر عليها المستشرق الايطالي (شيرولي E. cerulli) عام ١٩٢٦ ان هذه المملكة قامت في نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي سنة (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) تنتسب ! ، الى قبيلة مخزوم القريشية التي ينتمي اليها خالد بن الوليد القائد العربي وعلى الرغم من ان الوثيقة حددت عام ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م أول سنة لانشاء هذه المملكة غير انها لم تبين كيفية نشوئها ولا تاريخ حكامها الأوائل

هي دام حكم هذه المملكة العربية اربعة قرون عاشها في شبه عزلة عن العالم الخارجي، وربما يعزى السبب في عزلتها الى انها نشأت في منطقة خصبة معتدلة المناخ هيأت لها كل متطلبات الحياة في ذلك العصر . وفي السنوات الأخيرة من حكم مملكة شوا، بدأت عوامل الانحلال تظهر فيها بسبب المنازعات الداخلية وتفرق زعمائها. ومما زاد في الوضع سوءاً نشوء مملكة اسلامية فتية تلك ه (مملكة وفات) استطاعت اسقاط مملكة شوا عام ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م، بعد أربع عمليات عسكرية متتالية ومدن سلطانها من السهول الى الهضة وورثت مركز الزعامة بين الممالك الاسلامية في الحبشة كما سنرى.

أما الممالك الاسلامية التي ظهرت في شرق الحبشة فقد كانت كما وصفها العمري في كتابه " المسالك والممالك"، وأكد ذلك القلقشندي في كتابه صبح الاعشى على أنها " تمثل طرزا اسلامية "(٤). وربما وصفت كذلك لانها كانت كالطرز تحيط بهضبة الحبشة، او لأنها تمتد على ساحل البحر الاحمر كالطراز (٥). ويشمل الطراز الأسلامي سبعة كيانات سياسية مستقلة بعضها عن البعض وهي:

مملكة (وفات) وتسمى (اوفات) ويقال لها (جبرة) ايضا. اسمها قوم من قريش من بني عبد الدار ومن بني هاشم من ولد عقيل بن ابي طالب. ولم تبرز هذه السلطنة الا في نهاية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما اصبح سلطانها اقوى من السلاطين المسلمين المجاورين له والذين دانو له بالولاء والاحترام . لقد تحكمت مملكة وفات في الطريق التجاري الذي يربط المناطق الداخلية من الحبشة بالبحر الاحمر عن طريق ميناء زيلع الذي قام بدور كبير في التجارة العالمية في تلك الحقبة.

اما مملكة (هدية) فتقع غرب ممالك ساحل الحبشة الاسلامية شمل حكامها مساحة واسعة ولكن اكثر رعاياه من الوثنيين، الا انهم سرعان ما تحولوا الى الاسلام. ويوصف حكامها بانهم من الملوك الاقوياء بين الممالك السبعة وبان لهم عسكرا قويا وكبيراً ، ومملكة دورا (أو أواروا) التي تقع جنوب مملكة اوفات، ورغم صغرها فقد اشتهرت برجالها الاشداء في الحرب، وعمل حكامها على نشر الاسلام في البلدان المحيطة بهم

اما بقية الممالك السبعة فهي: مملكة ارابيني ومملكة شرخا ومملكة بالي ومملكة دارة. ويبدو من كلام العمري والقلقشندي ان هذه الممالك الاسلامية كونت لها جيوشا من الفرسان والمشاة ذات قدرة عالية.
وعلى الرغم من ان ملوك الحبشة كانوا ينظرون الى الدويلات الاسلامية في بلادهم بعين الحسد لارتقائها اقتصاديا وحضاريا، الا ان هذه الممالك كانت تعاني عوامل كثيرة من الضعف والتفكك بسبب المنازعات التي كانت كثيرا ما تقوم بينهما مما ساعد ملوك الحبشة على التسلط عليها وتنفير بعضها من بعض حتى لا تجتمع كلمتها على القيام في وجههم. واخيرا استطاعت الحبشة من انهاء هذه الممالك في القرن الخامس عشر الميلادي.

والجدير بالملاحظة ان نشاط العرب الاقتصادي وسيطرتهم على مرافق الساحل بسبب استقرار جماعات عربية في ارض الحبشة وسيطرتهم على طرق القوافل في الداخل ايضا، سببا في قيام حروب ومنازعات داخلية بين المسلمين والقوى المناهضة لهم. وقد استمرت هذه الحروب والمنازعات حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، حيث اخذت تتحول الى صراعات عالمية بدخول اطراف جديدة فيها كالمماليك والبرتغاليين والاتراك العثمانيين. ولكن على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي وقفت في طريق العرب في المنطقة فانهم استطاعوا ايصال عقيدتهم ا الاسلامية وحضارتهم العربية الاسلامية الى سكان ارض الحبشة.